جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة – الجزائر
ISSN: 1112-4377, EISSN: 2588-2384
المجلد: 30. العدد: 04. السنة: 2026.
مجلة المعيار
EL MIEYAR

جدلية الاستشراق والاستغراب بين التلازمية والانفكاك

The Dialectic of Orientalism and Occidentalism Between Interconnectedness and Separation

ميسومي نور الهدى[1]
missoumi.houda@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2026/03/31 تاريخ النشر: 2026/09/15
Received: 31/03/2026 published: 15/09/2026

ملخص المقال :

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على قضية الاستغراب والاستشراق، وما بينهما من تلازم وانفكاك، حيث لعب الاستشراق دورا مفصليا في كشف وتوجيه الفكر الشرقي للقيام بأدوار حسب قناعة الغربيين وتوجهاتهم وغاياتهم، لترسيخها في المجتمع العربي، بطريقة ذكية للسيطرة على تفكير العرب، ممّا أدى إلى البحث عن البديل، فجاءت فكرة الاستغراب كردّ فعل عكسي، وكان هدفها الأساسي الإحاطة بأحوال الغرب فكريا وسياسيا وحضاريا... وكانت محاولة البحث عن كلّ ما يتعلّق بالغرب بما يسمى بالاستغراب، والبداية كانت من الغربيين الذين اشتغلوا بتراث الشرقيين بما يسمى بالاستشراق.، فهذا التلازم الدوري كان له الأثر الفعلي في بلورة أحداث التاريخ، وكأنّ القضية تحوّلت إلى محاولة الافتكاك والتخلّص من الماضي بسبب اهتزاز العلاقة بين الطرفين.

كلمات مفتاحية: الاستغراب – الاستشراق – التلازم – الانفكاك – التواصل – الاستراتيجية.

Abstract:

This study aims to shed light on the issue of Occidentalism and Orientalism, and the interconnectedness and separation between them. Orientalism played a pivotal role in uncovering and directing Eastern thought to perform roles according to the convictions, orientations, and objectives of Westerners, in order to embed them in Arab society in a clever way to control Arab thinking. This led to a search for an alternative, giving rise to the idea of Westernization as a reverse reaction, whose main goal was to understand the intellectual, political, and civilizational conditions of the West. It was an attempt to explore everything related to the West, known as Occidentalism, beginning with the Westerners who engaged with the Eastern heritage under what is called Orientalism. This cyclical interrelation had a real impact on shaping historical events, as if the issue had turned into an attempt to seize and rid oneself of the past due to the shaken relationship between the two sides.

Keywords:. *Occidentialism – Orientalism – Conjunction – Separation – Communication – Strategy.*

(1) جامعة أحمد بن يحيى الونشريسي (تيسمسيلت).

مقدمة:

كثُر الحديث عن التحوّلات الفكرية في زمن التكنولوجيا الحديثة، وما آلت إليه أوضاع الأمم، خاصّة الأمّة العربية الإسلامية التي تكالبت عليها الأمم الغربية، فكانت فيما مضى تتعرّض لطمس ماضيها، بتشويه تراثها بما يسمى الاستشراق، والاستشراق يعني طلب دراسة الشرق، أي الاتجاه نحو الشرق، للبحث في أمور الشرقيين، لدراسة ثقافتهم وتاريخهم ومعالم حضارتهم.

وحسب الدراسات السابقة تبيّن لنا مدى خطورة ذلك التوجّه من تشويه وطمس للتراث العربي الإسلامي، وضربه في العمق الاستراتيجي، مما أدى إلى ظهور دراسات عربية تحذّر من خطر الاستشراق والمستشرقين، لأن اهتمام الغرب بدراسة أمور الشرق والتخصّص في ثقافته وتراثه كان من أجل ضربه في هويته واستهدافه في مصادره والعناية والاهتمام بمقدراته وثرواته، من خلال معرفة الشرق الهوية والتاريخ المتمثّل في الإسلام والمسلمين.

فبعد أن انكشف الستار عن هذه المكائد الغربية للعرب كان لزاما استحداث فكرة جديدة لمواجهة المستشرقين، فجاءت فكرة الاستغراب، وهو –أي الاستغراب– ظاهرة نفسية واجتماعية وثقافية معاصرة، يصبّ اهتمام الكلّ بالغرب والتعلّق به ومحاكاته في تقاليده وحضارته، وثقافته.

هذا الموضوع يستدعي طرح إشكالية محورية، كي يتسنى لنا الإلمام بفكرة الاستغراب والتحوّل، وكيف استطاع الغربي التغلّب والتأثير على الآخر، متبعين في ذلك المنهج الوصفي التحليلي، لمعاينة أهمّ الأحداث والتحوّلات.

فكيف يتمّ التحكّم في عملية التواصل بين الفكر العربي والفكر الغربي؟ وماهي الآليات اللازمة لبلوغ التقدّم الحضاري، وتمكين الوعي بدقّة وبصيرة لمعرفة طبيعة الغرب وحقيقته؟ سنحاول تبيّن وجهَ الصَّواب والتعرّف عليه للوقوف على حقيقة المسألة، وما إذا كان تأثير الاستغراب على الفكر العربي الإسلامي له أبعاد إيديولوجية يرمي إلى اتّباع نسقٍ معيّن من المعتقدات، ويعكس الواقع على الوجه الصحيح، ويفسّر بعض جوانبه، أو اتّباع نسقٍ آخر يشوّه الواقع، ويزيّفه للإنسان العربي ويعميه عن رؤية واقعه الحقيقي، لذا فالاستغراب له أيديولوجية معيّنة تصلح أحيانا كدليل للسلوك الإنساني، ولكنّها لا تصلح أحيانا أخرى للتفاعل مع التراث الغربي، ومن هنا معارضة الفكر الأيديولوجي الغربي بالفكر الموضوعي والعلمي.

فينبغي عدم التسرّع والانتقال من وضع قائم إلى وضع أفتم منه، بل يجب التأنّي وترقّب الوضع، والاطّلاع على ثقافتهم وفكرهم وفهم ما يقولون جيّدا، وبعدها يمكن طرح الأسئلة التي يثيرها هذا الاطّلاع، وهي عملية لا بد وأن تزيد من الإبداع العربي طالما أنّنا لا نتخلى عن هويتنا أو نماذجنا المعرفية ولغتنا، وطالما أنّ الأسئلة الّتي نطرحها هي أسئلتنا نحن، نطرحها بلغتنا العربية على أنفسنا ونحاول أن نصوغ إجابتنا من الداخل، مستفيدين من الحوار مع الآخر، دون أن نرضخ له.

الاستشراق والاستغراب بين القبول والاستنكار

يمكن القول إنّ التراث العربي الإسلامي وحده كافٍ بأن يتفاعل معه التراث الفكري الغربي، وربما جميع الشعوب الأخرى الّتي تشكّل نمطية معيّنة، لأنّ الدور العربي الإسلامي له محاولات فكرية إبداعية في نقد الحضارة الغربية .

بين الاستشراق والاستغراب قضايا وتوجّهات تسعى لخلط الموازين، وتوجيهها نحو نطاق معيّن للتأثير على السياسات العالمية، لجعل المسلمين طرفا في ذلك التوجّه حتى ولو كان ذلك يخالف إرادتهم، فالتوجّه الغربي له تأثيرات قويّة على الفكر العربي طبقا للسياسات المنتهجة، بغية التغيير والتحكّم في زمام أمور العرب.

ولعلّ طرح قضية الاستغراب يستوجب استحضار فكرة الاستشراق، باعتباره النواة الأولى للاهتمام الغربي بالفكر العربي الإسلامي، الذي صار محل اهتمام الإعلام الغربي باعتباره منبعا يستقي منه جميع المعارف العربية الإسلامية، خاصة المهتمين بالفكر الاستشراقي الذين صالوا وجالوا في قضية الاستشراق، وجعلوها قضية سياسية صرفة ومحضة، محاولين جعل الفكرة مقبولة حتى ولو كانت المعلومة سطحية، وهذا يخدم بالدرجة الأولى الجانب الغربي بتأثيراته العامة، مما يجعل المسلمين يقبلون بالأمر الواقع.

2-1: الاستشراق:

اهتمّ الغربيون بالاستشراق منذ زمن بعيد، وحرصوا على منحه أولوية خاصّة، وحاولوا تقريبه إلى ذهن المتلقي حسب رؤيتهم وقناعتهم لهذا الفكر أو النظام المراد اتّباعه، للوصول إلى الأهداف المرجوّة منه، فقد عرّفه رودي بارت (بارت، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية – المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكه، 2011م، صفحة 17) فقال: «الاستشراق علم يختصّ بفقه اللّغة خاصّة، وأقرب شيء إليه إذن أن نفكّر في الاسم الّذي أطلق عليه، كلمة استشراق مشتقّة من كلمة "شرق"، وكلمة شرق تعني مشرق الشّمس، وعلى هذا يكون الاستشراق هو علم الشرق، أو علم العالم الشرقي» .

ويعطي للاستشراق مفهوما واضحا حسب البيئة التي تتبنى رعايته وحمايته والترويج له فيقول (بارت، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية – المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكه، 2011م، صفحة 18) «الاستشراق في ألمانيا حاليا وفي العالم الأوروبي الحديث كلّه مادة علمية معترف بها من الجميع، ولا حاجة بها، وإن قلّ عدد المشتغلين بها، إلى البرهنة على أنّها مادة علمية جديرة بالوجود، فقد تمّ لها هذا، وتوشك أ ن تكون ممثّلة في كلّ جامعة من الجامعات بكرسي رسمي يشغله أستاذ» .

ويزيد توضيحا أكثر في المقصود بالشرق الّذي يختصّ به الاستشراق بقوله (بارت، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية – المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكه، 2011م، صفحة 18): «فمكانه جغرافيا في الناحية الجنوبية الشرقية بالقياس إلينا، والمصطلح يرجع إلى العصر الوسيط، بل إلى العصور القديمة، إلى الوقت الّذي كان فيه البحر المتوسّط يقع كما قيل في وسط العالم، وكانت الجهات الأصلية تتحدّد بالنسبة إليه، فلما انتقل مركز ثقل الأحداث السياسية بعد ذلك من البحر المتوسّط إلى الشمال، بقي مصطلح الشرق رغم ذلك دالا على الدول الواقعة شرق البحر المتوسط».

ولعلّ توجّه أصحاب الاستشراق يهدف بالدرجة الأولى إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربي وتعريفه بها، بغية إيجاد أرضية صلبة لتحقيق أهدافهم المرجوة، والمستشرقون يميلون إلى تبني طروحات عن الشرق والإسلام بطابع شخصي ويدافعون عن طروحاتهم بقناعة، حتى أنهم يصدون عند إقناعهم من مُحاور مسلم، بالرغم من محاولاتهم التملص من مصطلح الاستشراق.

وهو في مفهوم الشرق كما يرى رودي بارت (بارت، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية – المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكه، 2011م، صفحة 18) يتناول جوانب عدّة لاتّساع هذا المفهوم بسبب الفتوحات الإسلامية، ليشمل المفهوم في نطاق مدلوله الأوّل حسب جغرافية الفتوحات وتنوّع البلدان العربية في كلّ النواحي، شمالا وشرقا وغربا بالنسبة لشبه الجزيرة العربية، حتى شمال إفريقيا والمحيط الأطلسي، إلى أن صار هذا التوسّع يشمل مصر وبلدان شمال إفريقيا، فصارت هذه البلدان ضمن تسمية الشرق، فانتشرت فكرة الاستشراق، وينبغي أن تخصّ هذه التسمية البلدان الشرقية دون غيرها.

هذا هو مفهوم الاستشراق عند أحد المتخصّصين في الاستشراق رودي بارت، وقد ترجم القرآن الكريم إلى اللغة الألمانية، كما استطاع أن يعرض لتطوّر الدراسات العربية الإسلامية في الجامعات الألمانية منذ منتصف القرن الماضي الآن، وهو تكملة لجهود سبقت عند غيره من الألمان، كما يعرض الكتاب لقضية مهمة، وهي مدى تقبّل الباحثين الشرقيين لدراسات الاستشراق.

وتحدّث الكاتب عن فكر الاستشراق في ألمانيا والدول الأوروبية، وكيف أنّ للحكومات دور الإشراف على هذه المشاريع، وبيّن أهمية الاستشراق في ألمانيا حاليا وفي العالم الأوروبي الحديث كلّه أنّه يعتبر مادة علمية معترف بها من الجميع، فهي مادة علمية جديرة بالوجود، ينبغي رعايتها والاهتمام بها، وكلّ ما يجب توفيره لها فقد تمّ لها بالفعل، بقي لها أن تكون ممثّلة في كلّ جامعة من الجامعات بكرسي رسمي يشغله أستاذ، كما أنّ هناك عدد عظيم من وظائف المدرسين والمعيدين في تخصّص الاستشراق، إلى جانب الأساتذة، ويعني هذا أنّ الناشئة من المستشرقين يلقون ما يؤمّن مستقبلهم من الناحية المالية نوعا ما، وهم بدورهم يتمتعون بهذه النظم ويستفيدون منها أيّما استفادة، وهم بدورهم يتشكرون القائمين على هذا النظام ، وهو ومعاونيه يعترفون بأنّ المجتمع ممثلا في الحكومات والمجالس النيابية يضع تحت تصرّفهم الإمكانيات اللازمة لإجراء بحوث الاستشراق وللحفاظ على نشاطهم التعليمي في هذا المضمار.

وقد قال كلاما دقيقا ومفصّلا بيّن فيه مدى اهتمامهم بمشروع الاستشراق، وهذا النظام الرهيب الّذي خصّصوا له كلّ ما يلزم من طاقات فكرية وبشرية ومادية لتحقيق هذا المشروع العملاق، مثله مثل السلاح الفتّاك.

وقد صار لبعض المفكرين العرب رؤية دقيقة عن المستشرقين وتناولهم لموضوع الاستشراق، وقدّم توضيحا لتوجّه المستشرقين، وماهي مواطن التقاطع وانسجام الاستشراق مع الاستغراب، فنجد أحمد الشيخ (النملة، الالتفاف على الاستشراق: محاولة التنصل من المصطلح، 2006م، صفحة 173) «قد واجه هؤلاء الداعين للاستشراق بقضايا مهمّة حول موقفهم من الشرق وموقف الشرق منهم، وهو ما يمكن أن يكون نواة للاستغراب، بما في ذلك نقد الاستشراق نفسه الذي لا يزال قائمًا، رغم رغبة المستشرقين أنفسهم في التنصل من المصطلح».

يمكن القول إنّ كلام رودي بارت له أبعاد كبيرة وتأثيرات على الفكر العربي الإسلامي، فالغرب جعلوا الشرق العربي هدفا استراتيجيا لضرب كلّ المقوّمات والركائز التي يستند عليها المثقّف العربي، حيث نلاحظ توجّه الغرب لمعرفة الشرق بالبحث عن حلول كي يعالجونها، وللوقوف على أسرار المجتمع الشرقي لإيجاد أجوبة للأسئلة الّتي حيّرت بعض المستشرقين، والّتي منها سرّ جاذبية الإسلام وسرعة انتشاره.

ومن بين أهم أهداف المستشرقين هو تمكين النهضة الأوروبية وإعطاء الغرب الأفضلية على التراث العربي، حيث استخدم المستشرقون مناهج معينة في مؤلفاتهم ومقالاتهم لترسيخ فكرة التبعية الثقافية والفكرية للغرب، فالمستشرق الفيلولوجي الغربي (الجابري، 1986م، صفحة 80) « عندما يتجه إلى الثقافة العربية الإسلامية، بنظرته التجزيئية، لا يعمل على رد فروعها وعناصرها إلى جذور وأصول تقع داخلها، أو على الأقل مقروءة بتوجيه من همومها الخاصة، بل هو يجتهد كل الاجتهاد في رد تلك الفروع والعناصر إلى أصول يونانية، أو عندما تعوزه الحاجة إلى أصول هندوأوروبية».

وقد تكون حجتهم في ذلك ما تلقّفه علماء المسلمين من ترجمات في العصر الذهبي للعالم الإسلامي، حيث أقبلوا عليها بالدراسة والإضافة، والنقد الفاحص، إلى جانب التراث العربي الإسلامي الشامل لمختلف العلوم.

ولا يخفى أنّ تقدم الأمم المستمر لا يكون في معزل عن التأثير الخارجي، بل إن الأثر الذي يقع على حضارة ما من أمم مجاورة لها كثير ما يلعب دورا هاما في تطورها وعلى مختلف الأصعدة، لأن الاحتكاك الأممي ضرورة تاريخية، واحتكاك الثقافات يؤدي حتما إلى تداخلها، وبذلك يكون تمسك المستشرقين الغربيين بالمركزية الأوروبية غير منصف، فعزل الفكر الإسلامي عن الكيان الثقافي العام والنظر إليه باعتباره امتدادا مستمدا من الفلسفة اليونانية ما هو إلا محاولة اخضاع للعالم الإسلامي وجره إلى ركب التبعية.

وهذه النزعة نجدها حتى لدى المستشرق صاحب المنهج الذاتوي (الجابري، 1986م، صفحة 81): «فإنه على الرغمّ من تعاطفه مع بعض الشخصيات الإسلامية، كتعاطف ماسينيون مع الحلّاج، أو هنري كوربان مع السُّهروردي، فإنّه يبقى مع ذلك موجها من داخل إطاره المرجعي الأصلي، إطار المركزية الأوروبية، مشدودا إليه، غير قادرٍ ولا راغب في الخروج عنه، أو القطيعة معه».

وهذا يفسّر لنا تقارب الرؤى بين المستشرقين على اختلاف مناهجهم، كما يجب أن نضيف إلى الأسباب الوجيهة حقا التي ذكرت لتفسير هذا التوافق تأثير النزعة المادية على فكر الفرد الغربي خاصة والانسان المعاصر عامة، ويتّسم تفكير وسلوك الناس في العصر الحديث بالمادية، والمادية تنكر كل ما لا يقع في مجال المدركات الحسية التي هي عمدة العقل المادي في قبول الأشياء أو رفضها، ولعل خطر تيار الوجودية باعتباره آخر تيار فكري أخرجته المادية الحديثة؛ وما تدعو إليه من عزل الإنسان عن عالمه الروحي، يتضح في الدراسات الاستشراقية بشكل جليّ، كأداة ووسيلة لنشر تيارات فكرية مضللة.

وإذا حاولنا معرفة أهمّ ملامح التقارب والتشابه بين الفكرين الاستشراق والاستغراب، نجد بعض المستشرقين أو الذين هم على شاكلتهم من العرب المتأثرين بالثقافة الغربية، ممّن تبنّوا الفكر الاستشراقي، يتشابهون ويتقاربون في هذا المنحى الفكري، الأمر الذي يحيلنا إلى معرفة حقيقة المفهومين وسبب تقاربهما للدلالة على الطمس والتأثير في بعضهما، جاعلا ذلك التأثير يشمل فكر المجتمع المراد إحاطته بذلك الفكر، حتى صار بعض المفكرين العرب يرون في المستشرقين رؤية مخالفة تماما لما سطّره المستشرقون عند تناولهم لموضوع الاستشراق، فكان لزاما معرفة مواطن التقاطع بين الاستشراق والاستغراب، وكأنّ الاستشراق يعدّ بمثابة نواة للاستغراب.

لذا ينبغي قراءة الواقع حسب النتائج المكتسبة من هذه المخطّطات المهولة والصعبة على مقدراتنا وإمكاناتنا، خاصّة بوجود فجوات داخل مجتمعنا تساعد الغرب على إنجاز مشروعاته، فبعض الأدباء العرب ساهموا كثيرا في تحقيق وإنجاح مشروع الاستشراق، حيث استطاع الغرب استقطابهم، وهو أسلوب سياسيّ تتّبعه دولة كبيرة لتجذب نحوها مجموعة من الكفاءات في الدول الصغيرة، فيكون تكوينهم دقيقا وعلى أعلى درجة من المهارة في التوجيه والتتبّع، لتحقيق الأهداف المرجوة من هذا التكوين، ونجد بعضهم قد تكوّنوا في جامعات كبيرة كالسوربون بفرنسا، وتكوّنوا على يد أساتذة كبار أمثال كازانوفا ومرجليوث ودوركايم، ثمّ عادوا إلى الوطن العربي لتطبيق تلك الدراسات بضرب أساسات المجتمع العربي، ويمكن الرجوع إلى ما كتبه أنور الجندي عن الاستشراق والمستشرقين.

2-2: الاستغراب:

استطاع الغرب كسب الثقافة الشرقية لصالحه على حساب الإنسان الشرقي الذي بقي يراوح مكانه، متأثّرا بما يملي عليه الغرب من ثقافة دخيلة، تطمس تراثه العتيق، لذلك كان الاستشراق مشروعا ناجحا وذا عائد بالنسبة للغرب، على حساب المثقف الشرقي الذي أُصيب بخيبة أمل وخسارة لتراثه.

لذا نجد الاستغراب يمشي في الاتجاه المعاكس للاستشراق، حيث يهتم بدراسة ثقافة الغرب وحضارته، لاستنساخه في المجتمع العربي وتحديا لمشروع الاستشراق في كثير من الأحيان، فقد حاول المستغربون نشر ثقافتهم، وجعلها سائدة بين العرب والأمم الأخرى، ولأنّ المستشرقين استطاعوا أن يدرسوا حضارة الشرق والمسلمين كافّة، فإن المستغربين قد درسوا حضارة الغرب بجميع أقوامها وبلدانها، وذلك بالترويج للبعثات العلمية والفكرية إلى جامعات الغربية المرموقة، وسواها منذ النصف الأوّل من القرن التاسع عشر.

ومفهوم الاستغراب باعتبار مفهومه مشتقّا من اسم التغريب (حنفي، خريف 2015 م / 1436 هـ) فهو يعني حرفيا العلم بالغرب، والذي تم تناوله من قبل العرب والمسلمين كرد فعل عكسي ضد الاستشراق، وقد قدّم حسن حنفي مبرراته لتحولنا من ذات مدروسة إلى ذات دارسة بقوله عن مهمة علم الاستغراب بأنها " فك عقدة النقص التاريخية في علاقة الأنا بالآخر والقضاء على مركب العظمة لدى الآخر الغربي

بتحويله من ذات دارس إلى موضوع مدروس، والقضاء على مركب النقص لدى الأنا بتحويله من موضوع مدروس إلى ذات دارس، مهمته القضاء على الإحساس بالنقص أمام الغرب، لغة وثقافة وعلماً ومذاهب ونظريات وآراء مما يخلق فيهم إحساساً بالدونية.

نحن نعرف مقدار المؤثرات والضغوطات الخارجية التي يتعرّض لها العالم الإسلامي، فإذا لم تصبه هذه المؤثرات في كثير من مقوماته الأساسية كهويته الدينية، فهي تصيبه في كثير من الأجزاء التي تتجلى في الظواهر الاجتماعية والثقافية، الأمر الذي استدعى مجموعة من الأهداف والغايات لمواجهة الهيمنة الغربية كما حدّدها حسن حنفي.

ولا يمكن إغفال الدور المؤسّس الذي أداه إدوارد سعيد في صياغة اللبنات الأولى لنظرية ما بعد الاستعمار من خلال كتابه الاستشراق، والتي كان لها دور أساس في صياغة نموذج علم الاستغراب، باعتبار علم الاستغراب خطابا مضادا للاستشراق، وما أعانه على ذلك هو المنهجية التي اعتمدها في دراسة الخطاب الاستشراقي، إذ اتّبع منهجية فيلولوجية قائمة على دراسة التراث والنصوص عبر التحليل اللغوي والتاريخي المقارن، كما استحضر إدوارد سعيد المذهب التكاملي الديناميّ الذي تبيّنه من فلسفة فيكو حين يربط علاقة الاطار الثقافي العام بكل ما ينتجه من أفكار وآداب إنسانية في بلد معيّن وفي عصر معيّن، ثم أفاد من أفكار أنطونيو غرامشي في التمييز بين المجتمع المدني و المجتمع السياسي، والحديث عن الهيمنة الثقافية.

وكتاب الاستشراق لإدوارد سعيد بوصفه كتابا في المنهج (سعيد، 1995م، صفحة 28)« يمثّل أسلوب استقراء كتابات المستشرقين للكشف عما يكمن فيها من مواقف ثقافية قد تتفاوت من كاتب إلى كاتب ومن عصر إلى عصر ولكنّها تتميّز بموقف أساسي يرجع إلى ارتباط المعرفة بالسلطة، واعتماد كل منهما على صاحبتها، فالسلطة بشتى أشكالها – السياسية والعسكرية والمالية– تحدّد نوع المعرفة واتجاهاتها، كما إن المعرفة لازمة لقيام السلطة واستمرارها، وهو الموضوع الذي يخصّص إدوارد سعيد فصلا كاملا له في تغطية الإسلام، بعد أن اتّخذه أساسا للتمييز بين ما يسميه "الاستشراق السافر" وبين "الاستشراق الكامن" في كتاب الاستشراق، وما يسميه الاستشراق الكامن أو المستتر، يشير إلى الموقف الثقافي لكلّ من تعرّض للتفكير في الشرق أو الكتابة عنه أو لاستلهامه في الأعمال الأدبية في الغرب».

ومن خلال ذلك نجد إدوارد سعيد استمدّ، في تعامله مع الخطاب الاستشراقي، رؤيته الثقافية والسياسية وهي قائمة على ثلاث ركائز :

أولا: تسليط الضوء على العلاقة الوثيقة بين المؤسسات الاجتماعية والمؤسسات السياسية، وضرورة بلورة قراءة سياسية تمثّل العقل العربي وتقوّض المركزية الغربية.

وثانيا: الاتّساق بين المنهج العلمي والموقف الفكري، لأنّ التشديد على المسألة المنهجية في التعامل مع الأفكار والمؤلفين والمراحل التاريخية، لابدّ أن تتوافق مع طرائق التفكير للخروج بفكر بنّاء بمقدوره مواجهة الاستشراق، وبناء سلطة معرفية تواجه وتتفاعل مع ثورات العلوم والمناهج.

وثالثا: تدعيم أسس النقد الثقافي ورفع الوعي النقديّ من خلال إعادة النظر في التركة الاستعمارية، مع القراءة المتبحّرة في التاريخ، والفلسفة والأدب وغيرها من العلوم الإنسانية.

يهدف الاستغراب إلى إحداث التغيير الاجتماعيّ الذي يُواجه الاستشراق، ويتخذ مسارا استراتيجيا تقابليا، حتى لا تحس الأمة الشرقية بالاستهداف دون مقاومة، غير أن الأسلوب الذي يجري به التغيير هو ما حدّ من فاعلية هذه المواجهة فكان لابد من تدبير وتحديد بعض الركائز لهذه الاستراتيجية، بغية تحقيق هذه الغاية، والتي نوجزها في الآتي:

– أهم ما يجب أن تشتمل عليه هذه الاستراتيجية اتخاذ كل ماله علاقة بالثقافة الغربية هدفا للدراسة، أي حتى أولئك المتأثرين بالفكر الغربي وإن كانوا من بني الثقافة الشرقية أنفسهم، الأمر الذي ينعكس على توجهات الأفراد في المجال السياسي والاقتصادي.

– يلي ذلك مخاطبة فكر الأمة لتدارك النتائج السلبية التي حققها الاستشراق على الصعيد الفكري للفرد العربي، ومن ثَمَّ يجري التغيير أول ما يجري داخل العقول، ليبلغ إحداث التغيير الخروج من موقف الضعيف إلى موقف القوي.

– تقديم كتابات تُحاكي وتواجه ما كتبه مفكرو المستشرقين؛ من أجل توجيه الفرد العربي والمسلم إلى أحسن الوسائل لبلوغ أرقى الأهداف وأنفعها، فكلما استطعنا أن نعرف شيئًا عن استراتيجية الاستشراق وأهدافه نحو هذه الأمة المسلمة، كان بالإمكان مواجهة ذلك التخطيط العميق الذي حُبك به لاستهداف الثقافة الإسلامية.

– توجيه أساليب التغيير الاجتماعيّ إلى توعية فكر الأمة وعقلها، وذلك بالاعتماد على وسائل الإقناع المختلفة، وكذلك بالتخطيط العلمي الذي يقوم عليه علماء النفس وعلماء الاجتماع.

– لتجنب تغريب الشعوب العربية والإسلامية لابد من مواجهة الغرب سياسيا، وحماية الكتل الشعبية من الثقافة الغربية.

– تخريج أساتذة مختصين في ميدان الاستغراب في بلادهم لفتح مجالات الحوار الأكاديمي مع العالم الغربي.

وطبيعي أن الأجيال الناشئة في المناخ الواعي بالفكر الغربي والفكر الاستشراقي تجد في مكتسباتها الفكرية ما يحصنها بوجه الأفكار الدخيلة إذ تصبح على أتم الاستعداد لمواجهة الاتجاهات الغربية التي تحاول طمس معتقداتها. فتحسن الإقبال على مسالك الغرب والتفريق بين النافع منها والضار، لأن بناء الأفراد في الحضارة يستدعي انفراج زاوية الوعي والمعرفة بالذات وبالآخر، تبعا لاتساع نطاق التواصل الفكري العالمي.

وإذا حاولنا قراءة الحالة المكتسحة على العالم العربي الإسلامي، والّتي كان لها تأثير قويّ في ضرب الرموز العربية الإسلامية من خلال الاستشراق، وطمس الهويّة، فكان لزاما علينا ترشيد وتقويم ظاهرة الاستغراب، فهي معركة ما تفتأ على أشدها بين الحقيقة والتزوير وإنها لمعركة تستهدف تاريخ أمة.

وقد استطاع المفكّر أحمد الشيخ (الحياني، الاستشراق والاستغراب: السلطة – المعرفة – السرد – التأويل – المرجعيات –، 1434هـ/2013م، صفحة 152) أن يؤسّس لمشروع يعالج فيه قضايا الاستشراق والاستغراب عل حدّ سواء، وذلك من خلال خوضه لعدّة حوارات ومقابلات مع مستشرقين وبعض العرب المتبنين للفكر الاستشراقي أو الفكر التغريبي في النظرة للإسلام دينًا وعقيدة وفكرة وثقافة وتمثّلا على اعتبار أنّ الفكر التغريبي المتضمّن تبني أفكاراً غربية، هذا الفكر هو منهج بذاته. ليجعلها محتوى لعمل قادم؛ لأنّه لم يضمّنها نتيجة نهائية في كتابه، وإن كانت مبثوثة في مقابلاته مع عدد لا بأس به من المستشرقين ...أما تبني أفكار المستشرقين حول الإسلام من بعض المفكرين العرب والمسلمين، وهو موجود وكثير في الساحة العربية والإسلامية، فهو منهج آخر بذاته، ولا يعدّ هذا استغرابًا بالمفهوم الإجرائي لمصطلح الاستغراب.

إن فكر التغريب يُعد ضربا من الاستشراق ومواجهة هذا المنهج لا يمكن أن تؤتى أكلها إلا في جو من التوعية العميقة للقارئ العربي وهذه المهمة تقتضي تعبئة عامة في وسائل الإعلام والتعليم، فالتغريب أي تبني الفكر الغربي كان بمثابة غطاء حاول رواده التستر به مستظلين بمظلة الاستغراب. لابد من فهم واعي للمصطلحات ومفاهيمها ومنطلقاتها، ومضاعفة الاهتمام بأهداف هذه الظواهر الفكرية، وبذلك تتوافر شروط المواجهة والتحرر من هذا الاتجاه الخطير الذي يستهدف المسلم في هويته.

التلازم بين الاستغراب والاستشراق

يصعب المقاربة بين فكري الاستغراب والاستشراق لتباعد النهجين، وتباين بين الطرحين واِختِلافهما، فكلّ وَاحد له رأي مُخالِفٌ للآخر. ومعنى التلازم عند أهل اللّغة (التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، 1996م، صفحة 1405) «وعند أهل المناظرة ويسمّى بالملازمة والتلازم والاستلزام أيضا كون الحكم مقتضيا لحكم آخر بأن يكون إذا وجد المقتضي وجد المقتضى وقت وجوده ككون الشمس طالعة وكون النهار موجودا، وعند المنطقيين عبارة عن امتناع الانفكاك عن الشيء وما يمتنع انفكاكه عن الشيء يسمّى لازما وذلك الشيء ملزوما. والتلازم عبارة عن عدم الانفكاك من الجانبين والاستلزام عن عدمه من جانب واحد، وعدم الاستلزام من الجانبين».

يمكن القول عن الاستشراق والاستغراب أنّهما تلازما في فكرة واحدة وهي الاتجاه نحو البحث والخوض في حضارة الآخر، وكانت النتيجة أنّهما تلازما في عدم الانفكاك عن دراسة الإسلام والثقافة العربية فقد كان لذلك تداعيات ونتائج، من بينها إغراق المسلمين بالتيارات الفكرية التي تُحدث حالة فوضى لدى القارئ، حيث يقوم الاستشراق على دعوة خادعة، وهي أن يجرد المسلم العربي نفسه من كل ما يربطه بحضارته من نظم وقواعد وعادات وتقاليد، وأن يشك في هويته وتاريخه، وبعد هذه المرحلة تأتي مرحلة طمس تاريخ المسلمين وتشويهه، فكان بضرب الرموز وتحطيم الرؤوس، عن طريق الاستشراق.

3-1-محاولات الانفكاك من الاستشراق :

أما مصطلح الانفكاك فهو بمعنى الانتهاء والانفصال، بل الانفصال أَعمّ من الانفكاك، فقد قال الفراء (الأزهري، تهذيب اللغة، 2001م، صفحة 339/9) عنه: قد يكون الانفكاك على جهة يزال ويكون على الانفكاك الذي تعرفه، فإذا كان على جهة يزال. قلت: قد انفككت منك، وانفك الشيء من الشيء، فيكون بلا جحد ولا فعل. قال ذو الرمة:

قلائص لا تنفكّ إلا مناخة على الخسف أو نرمي بهذا بلدا فقرا

فلم يدخل فيه إلا: وهو ينوي به التمام وخلاف يزال، لأنك لا تقول ما زلت إلا قائما. قلت: وقول الله تعالى: {منفكين} ليس من باب ما انفك وما زال، إما هو من انفكاك الشيء من الشيء: إذا زال عنه وفارقه، كما فسره ابن عرفة، والله أعلم. ثعلب عن ابن الأعرابي قال: فك فلان، أي: خلص وأريح من الشيء. ومنه قوله تعالى: {منفكين} معناه: لم يكونوا مستريحين متخلصين حتى جاءهم البيان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به. وفك الرقبة: تخليصها من إسار الرق. وفك الرهن وفكاكه: تخليصه من غلق الرهن. وشيخ فاك: إذا انفرج لحياه من الهرم. وكل شيء أطلقته فقد فككته.

وحسب النتائج الّتي آل إليها الاستشراق من تشويه للحقائق، وتزييف بعض المكتسبات التي حقّقها المجتمع العربي منذ شروق الإسلام وتطوّر الحضارة العربية، فإنّ ظاهرة الاستشراق صارت عبئا على إمكانية التعافي والنهوض ثانية، خاصّة بظهور فكرة التغريب، وانتهاج طريق الاستغراب، فلم يكن بدّا إلا محاولة الانفكاك والتخلّص من هذا الدخيل، والبحث عن آليات للالتحاق بالركب والنهوض ثانية.

والتقارب الوحيد الّذي نراه معمولا به هو الاستعانة بالشرقيين للعمل، والاعتماد على اليد العاملة، وخاصّة أصحاب الكفاءات، والأدمغة، ولو حاولنا تتبّع ظاهرة هجرة الأدمغة والعقول العربية إلى البلاد الغربية، فهناك نزيف للعقول، يتدافع نحو الخارج، وأرقام مهولة وصادمة من جرّاء هجرة الأدمغة من الدول العربية إلى الغرب، فهي تداعيات مدمّرة للاقتصاد والتنمية، فبلادهم تدفع الغالي والنفيس لتعليمهم وتكوينهم، فإذا استقام عودهم وأخذوا شهاداتهم توجّهوا إلى الغرب للعمل.

إن الكشف عن أهمّ أسباب الهجرة يهدف إلى زيادة الفهم والوعي المتصّل بهذه المشكلة، فهل يمكن تشخيص أهمّ الانعكاسات الناتجة عنها، وقد صارت الدول الغربية تتمتّع بكلّ ثروات العرب، حتى جعلتها معوزّة فقيرة، فتمّ سلب ثرواتها ثمّ أدمغتها وأيديها العاملة، ونأخذ نموذجين على سبيل المثال: (تيزيني، بلا تاريخ)

1 –الطيب تيزيني مؤلّف كتاب من الاستشراق الغربي إلى الاستغراب المغربي، الّذي بحث فيه عن القراءة الجابرية للفكر العربي وفي آفاقها التاريخية.

وقد وُلِد في مدينة حمص بسوريا عام 1934م، وتلقى فيها تعليمه الابتدائي والإعدادي والثانوي، ليتجّه بعد ذلك إلى تركيا الدولة المجاورة ليبدأ مشوار دراسته للفلسفة، ثم انتقل إلى بريطانيا ومنها إلى ألمانيا لينهي دراسته بحصوله على درجة الدكتوراة في الفلسفة عام 1967، ثم حصل على الدكتوراة مرة أخرى في العلوم الفلسفية عام 1973.

وكالعادة مع أغلب الكتاب العلمانيين كانت أفكار وآراء تيزيني سببا في أن تلتفت إليه المؤسسات الأكاديمية والفلسفية في الغرب، حتى برز من وجهة نظرهم كأحد أهم الفلاسفة العرب إلى درجة أن اختارته مؤسسة Concordia الفلسفية الألمانية – الفرنسية واحداً من مائة فيلسوف في العالم للقرن العشرين عام 1998.

2 –إلياس زرهوني: إلياس آدم زرهوني، إبن الجزائر، أحد الرواد المبتكرين في مجال الأشعة الطبية لأكثر من عقد من الزمن. تحصّل على شهادة الدكتوراه في الطب من جامعة الجزائر في عام 1975م.

كان الرئيس السابق للمعهد الوطني للصحة في الولايات المتحدة، وهو يتميّز بالذكاء، ولديه معرفة شاملة في ميدان التصوير الطبي لأنّ ذلك كان تخصّصه.

إن المقارنة بين الاستشراق والاستغراب تحتاج إلى تدقيق، فحركة الاستشراق لها غايات وأهداف قد سخرت لها فهي لم تأت عبثية أو لمجرد الفضول والاطلاع أو حتى التقارب الثقافي كما يروج لها، وقدرة المستشرقين على الانخراط في المجامع العلمية وتعيين عدد كبير منهم أعضاء في مجامع تابعة لدول عربية كسوريا ومصر خير دليل على ذلك، الأمر الذي ساهم في التأثير على الدراسات العربية والإسلامية من خلال طلبتهم والمؤلفات التي تعكس نظرتهم وتوجههم إلى العالم الإسلامي.

ويتضح مما سبق:أن الاستشراق تيار فكري، يتجه صوب الشرق، لدراسة حضارته ودينه وثقافته ولغته وآدابه، من خلال أفكار اتسم معظمها بالتعصب، والرغبة في خدمة الاستعمار، وتنصير المسلمين، وجعلهم مسخاً مشوهاً للثقافة الغربية، وذلك ببث الدونية فيهم، وبيان أن دينهم مزيج من اليهودية والنصرانية، وشريعتهم هي القوانين الرومانية مكتوبة بأحرف عربية، والنيل من لغتهم، وتشويه عقيدتهم وقيمهم، ولكن بعضهم رأى نور الحقيقة فأسلم وخدم العقيدة الإسلامية، وأثّر في مُحْدثيهم، فبدأت كتاباتهم تجنح نحو العلمية، وتنحو نحو العمق بدلاً من السطحية، وربما صدر ذلك عن رغبة من بعضهم في استقطاب القوى الإسلامية وتوظيفها لخدمة أهدافهم الاستشراقية، وهذا يقتضي الحذر عند التعامل مع الفكر الاستشراقي الذي يتدثر الآن بدثار الموضوعية.

فنلاحظ أنّ رؤية الغرب للشرق بهذه الكيفية لم تكن وليدة الحاضر، بل خُطِّط لها منذ زمن بعيد، فكانت بعد نهب التاريخ الإسلامي بثرواته وتراثه العريق، فلجأ الغرب لإعادة قراءة التاريخ الإسلامي ومحاولات ضربه في العمق بداية بإدخال فكر الاستشراق بضرب رموزه وتحطيم الرؤوس الصانعة لذلك المجد والتراث .

والحق أن الغرب استطاع التفوّق على الشرق من خلال مشروع الاستشراق، والخاسر الأكبر هم أهل الشرق، لما تكبدوه من ضرب الهوية، وصاروا لا يمتلكون حرية التصرّف في كلّ شيء، بعدما ضُرِبتْ رموزهم، وطُمِست الشخصية المعروف بها العربي.

ومهما نسمع أو نقرأ كلاما عن استثمار الغرب لبعض التراث العربي وبعثه في شكل أنيق كالمخطوطات العربية بعد ترتيبها وتبويبها، وتصفيفها في مكتباتهم، فتصبح بعد ذلك في خدمتهم، ولا يحقّ للعربي المسلم تصوير أو كتابة المعلومات.

فالتراث العربي يبدأ وينتهي عند المكتبة العربية الّتي هي عماد الوقوف والارتكاز، والّتي كانت بعد الفتوحات الإسلامية أي منذ بدأت حركة التدوين ثمّ التصنيف فالازدهار، فتوارثت الأمة أجيالا عاملة ومبدعة في مختلف الفنون، وكانت الأمّة الإسلامية مزدهرة، وتنوّعت نشاطاتها، وكان للّغة العربية دورا أساسيا في التواصل، لذا فالمكتبة العربية تعتبر النواة الحيّة في التقدّم والازدهار، وهذا ما جعل الغربيين يتساءلون عن سرّ نجاح الإسلام، وكثرة المنتسبين إليه من أهل الغرب، هذا السؤال طرحه المستشرقون وحيّرهم كثيرا، لذا فهم يحاربون الإسلام حتى في دياره .

3-2 –الآليات اللازمة لبلوغ التقدّم الحضاري:

تحديد آليات النهوض والتعافي من الأمراض والترسبات التي خلّفتها سياسات الاحتلال أمر ضروري، ولابدّ من استرجاع معالم الهوية التي طمسها الاحتلال الغربي، وهذا لن يتأتى إلا بالعودة إلى النهج القويم والمتمثّل في سنة نبيّنا الكريم عليه الصلاة والسلام، وكما رسم لنا الدعاة طريق البلوغ والاسترجاع، فالمحتلّ الغاصب للمقدرات والثروات عمل على زرع ونشر ثقافة تغريبيه مناهضة للفكر الإسلامي.

فمن أجل تحقيق أهداف سامية وصحيحة يجب استحضار نشاطات فعالة، والاعتناء بشباب الأمّة ورجالها وكلّ الجهود الفكرية والأدبية والسياسية التي تهدف وتساهم في تحقيق الجودة، والسعي للكشف عن جميع المهارات والاسهامات لاسترجاع الذات العربية، كما ينبغي اتّباع استراتيجية قويمة لمحاربة وتنقية ترسّبات الاحتلال الغاشم من جميع المراكز والمؤسسات للسيطرة على كلّ المجالات وفي كلّ المستويات.

وقد كان لمالك بن نبي اسهامات في رسم شروط النهضة والصحوة للإحساس بالذات والهوية، فكتب كتابا بعنوان شروط النهضة تحدّث فيه عن الحاضر والتاريخ والمستقبل، فتطرّق للحديث (نبي، مشكلات الحضارة: مشكلة الثقافة، 2000م، صفحة 16) عن شروط الدورة الخالدة وعناصرها وتوجيهها وذوقها الجمالي في بناء الحضارة، كما تكلّم عن صعوبة النجاة من الاستعمار وأجناده إلا إذا نجت نفسه من أن تتّسع لذلّ الاستعمار، وتخلّصت من تلك الروح الّتي تؤهّله للاستعمار. ولا يذهب كابوسه عن الشعب كما يتصوّر بعضهم بكلمات أدبية أو خطابية، وإنّما بتحوّل نفسي، يصبح معه الفرد شيئا فشيئا قادرا على القيام بوظيفته الاجتماعية، جديرا بأن تحترم كرامته، وحينئذ يرتفع عنه طابع (القابلية للاستعمار)، وبالتالي لن يقبل حكومة استعمارية تنهب ماله وتمتصّ دمه، فكأنّه بتغيير نفسه قد غيّر وضع حاكميه تلقائيا إلى الوضع الذي يرتضيه.

وقد كانت لهذه الرؤية المالكية –نسبة إلى مالك بن نبي– أبعادا استراتيجية، خاصّة الاهتمام بالجانب الثقافي والهوية، والاهتمام بالحاضر لبناء المستقبل، وهذا لن يتأتى إلا بعد قراءة الماضي، مع أخذ الاحتياط والحذر من جذور الاحتلال الباقية مغروسة في أعماق الفكر، فمهما تكن الحرّية، يكن الترسّب واقعا .

3-3 –البناء المنهجي للفكر العربي الإسلامي في مواجهة المناهج الغربية :

تتداعى الأفكار وتسترسل معانيها، بينما الّذي ينبغي الوقوف عنده والتأكيد عليه هو المنهج الصحيح لتجنّب الفوضى وعدم الوقوع في المسالك الهاوية، فالحياة تقوم على أسس صحيحة وصلبة بغية الوصول والصعود إلى القمة، لكن بتجنّب الفوضى الفكرية، وعدم الوقوع في نكسات قهرية تنجم عنها انكسارات متتالية، لذا وجب الاعتماد على حياة علمية صحيحة قوامها الأولويات الضرورية.

هذه الحياة العلمية تقتضي منهجا قويما يسلكه الدارس لضبط كامل لكلّ الكليّات والجزئيات للمادة المراد معالجتها ودراستها، مع مراعاة فكرة أسبقية الأمم الأخرى في التقدّم والازدهار. وقد تقدّموا في مناهج العمل والتطبيق، وأصبحت فروع المعرفة عندهم ترتبط ارتباطا عضويا مفصليا

متكامل البناء و تأخذ المخططات التنظيمية عندهم شكلاً متراصاً، فيأخذ طابع الحقيقة المنهجية؛ إلا أنّنا نجد بيننا الكثير من الباحثين يأخذون بالطريقة المنهجية في التربية وعلم النفس وعلم الاجتماع والاقتصاد والأخلاق، ولكنّهم لا ينطلقون من البدايات.

فلكلّ علم منهجه يرتكز على ضوابط معيّنة، وله أهل متمرّسون يديرونه بأشكال تواصلية، لذا نجد الحاجة ماسّة إلى تكثيف الكتابات في المنهج ليعمّ جميع الفنون والعلوم العقلية والنقلية، فالعلوم النقلية تتمثّل في العلوم التي تعتمد على الأخبار والأقوال، كي تُحقَّقَ عقليا، وحينها يمكن الاستفادة منها .

ويعدّ الأدب والتاريخ والفقه والحديث والتفسير كلّها تعدُّ من العلوم النقلية، أما العلوم العقلية هي العلوم الّتي تستند بشكل أساسي على العقل والتحليل العقلي والمنطقي مثل الكلام، الفلسفة، والرياضات .

ولو تأمّلنا قليلا لوجدنا أنّ التراث يمثّل الهوية الثقافية للأمم، والتي من دونها تضمحّل وتتفكّك داخلياً، وقد تندمج ثقافياً في أحد التيارات الحضارية والثقافية العالمية القوية. وبالنسبة للمسلمين فإنّهم يتعرّضون لهذا التفكّك ويندفعون بقوّة مطردة نحو التيارات العالمية المتباينة، فطبيعة التراث هي التي تستلزم وتستدعي ذلك حسب التفاعل معه .

ولا ريب أنّ منهج الدارسين الحاليين له انعكاس فوري على معظم العلوم والفنون النقلية، فقلّدهم في ذلك علماء اللّغة، والأدب وعلماء التاريخ، فاعتمدوا في ذلك على الاسناد مثلما نجده عند أهل ا لحديث، فهذا المنهج يعتبر هو الأساس لكلّ العلوم النقلية، لمنع الأكاذيب والروايات المغلوطة، ولكي ننجو من براثن الجهل والتخلّف ينبغي إعادة قراءة الماضي بعلومه والبحث في كيفية السير على منوال الأوائل وركوب المناهج التي كانت سبب نهوضهم، وكلّ محاولة خارج هذا الإطار تعدّ باطلة وغير مجدية، فكلّ بناء لا يقوم على أساس صحيح مآله السقوط، وأيّة محاكاة أو تقليد للحضارة الغربية سيندثر ويتحطّم، لذلك يجب علينا التمسّك بتلابيب أصولنا.

خاتمة:

نستخلص ممّا سبق نتائج يمكن أن تكون ذات بعد فنّي يخدم موضوع الاستغراب والاستشراق، وكان اختيارنا وبحثنا في ظاهرتي الاستغراب والاستشراق، للوقوف على المقاربات الّتي تبحث في المصطلح والمفهوم، وما هي الجذور والامتدادات والأهداف الرامية من وراء ذلك وما هي الآليات المتّبعة، والمنهج المختار لتحقيق ذلك.

فارتأينا اختيار عنوان لهذه الدراسة تمثّل في: جدلية الاستشراق والاستغراب بين التلازمية والانفكاك، وقد استدعت الدراسة، بما طرحته من أفكار عن علمي الاستشراق والاستغراب مجموعة أخرى واسعة من الأفكار التي ساهمت في مناقشة فكرة التلازم والانفكاك بينهما، كما حاولت الدراسة الوقوف على مدى تلازم الاستغراب بفكرة الاستشراق ومحاولة رواد الاستغراب التحرّر من فكر المستشرقين، وبما أنّ الاستغراب هو في حقيقته خطاب مضاد للاستشراق، فقد ساهم في دراسة العقل الغربي تفكيكا وتركيبا، ويحتاج هذا العلم إلى أجهزة متخصّصة، وباحثين متخصصين ذوي كفاءات عالية في العلم، مع ضرورة التمييز بين المعرفة الخالصة والمعرفة السياسية. والتأكيد على ضرورة الاعتناء بالمسألة المنهجية في التعامل مع الأفكار والحقب التاريخية.

ولنا نتائج مقتضبة وموجزة، إشارة إلى الإيجاز بغية إزالة كلّ ما هو غير ضروري أو تفصيلي، نوردها فيما يلي:

–كان للاستشراق دور أساسي في كشف وتوجيه الفكر الشرقي للقيام بأدوار حسب قناعة الغربيين وتوجّهاتهم وغاياتهم، لترسيخها في المجتمع العربي، وللسيطرة على تفكير العرب.

-إن البدائل والحلول للتخلّص من التبعية للغرب يكون بالإحاطة والبحث عن أحوال الغرب فكريا وسياسيا وحضاريا... والكشف عن مخططات الغربيين المشتغلين بتراث الشرقيين عن طريق الاستشراق.

-البحث عمّا إذا كان ثمّة تلازم بين الاستشراق والاستغراب يُساهم في إيجاد كيفية للانفكاك من هذه المعضلة بسبب اهتزاز العلاقة بين الطرفين.

-لابد من آليات محددة لبلوغ التقدّم الحضاري، وتمكين الوعي بدقّة وبصيرة لمعرفة طبيعة الغرب وحقيقته.

حاولنا بذلك تقريب الصورة لكلّ باحث عن الحقيقة بالوقوف على مشكلة الأمر لمعالجة الحالة، وضبط منهج مناسب لإعادة البوصلة إلى مكانها الصحيح .

فيمكن القول عن الاستشراق والاستغراب أنّهما اتخذا طريق المواجهة، فالأوّل دقّ ناقوس الخطر بمسح ذاكرة المسلمين من كلّ معنى من معاني التراث العربي الإسلامي العتيق، والقيم الثقافية والحضرية، وإفراغه من محتواه، أما الثاني فدوره توعية المجتمع الإسلامي بالثقافة الغربية حتى يتمكن القارئ المسلم من مسايرة ركب الحضارة الحديثة، ويتقبل الخبرات والتفسيرات الجديدة من موضع قوة لا خضوع.

المصادر والمراجع:

Bibliographie

*إدوارد سعيد. (1995م). *الاستشراق، المفاهيم الغربية للشرق*. (محمد عناني، المترجمون) دار بن جوين العالمية.

*الأزهري, م. ب(2001) .م .(*تهذيب اللغة* .بيروت: دار إحياء التراث العربي.

*الحياني, م. خ(1434) .هـ/2013م .(*الاستشراق والاستغراب: السلطة – المعرفة – السرد – التأويل – المرجعيات* .- عمان :دار غيداء.

*النملة, ع. ب(2006) .م .(*الالتفاف على الاستشراق: محاولة التنصل من المصطلح* .الرياض :مكتبة الملك عبد العزيز العامة.

*حسن حنفي. (خريف 2015 م / 1436 هـ). مجلة الاستغراب. *الاستغراب في مواجهة التغريب*(1)، الصفحات 308-319.

*رودي بارت. (2011م). *الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية – المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكه*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

*طيب تيزيني، ينظر الرابط:. (بلا تاريخ). *من الإستشراق الغربي إلى الإستغراب المغربي بحث في القراءة الجابرية للفكر العربي وفي آفاقها التاريخية* . تم الاسترداد من مكتبة نور: https://www.noor-book.com/book/review/14503

*مالك بن نبي. (2000م). *مشكلات الحضارة: مشكلة الثقافة*. دمشق: دار الفكر.

*محمد بن علي التهانوي. (1996م). *موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم*. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون .

*محمد عابد الجابري. (1986م). *التراث ومشكل المنهج* (الإصدار 1). الدار البيضاء: دار توبقال للنشر.

References

** Idwārd Sa'īd. (1995m). al-istishrāq, al-mafāhīm al-Gharbīyah lil-Sharq. (Muḥammad 'Inānī, al-Mutarjimūn) Dār ibn jwyn al-'Ālamīyah.*

** al-Azharī, M. b. (2001M). Tahdhīb al-lughah. Bayrūt : Dār Iḥyā' al-Turāth al-'Arabī.*

** al-Ḥayyānī, M. Kh. (1434h / 2013m). al-istishrāq wālāstghrāb : al-Sulṭah-al-Ma'rifah-al-sard-al-ta'wīl-al-marji'īyāt-. 'Ammān : Dār Ghaydā'.*

** al-Namlah, 'A. b. (2006m). alāltfāf 'alá al-istishrāq : muḥāwalah al-tanṣṣul min al-muṣṭalaḥ. al-Riyāḍ : Maktabat al-Malik 'Abd al-'Azīz al-'Āmmah.*

** Ḥasan Ḥanafī. (Khurayyif 2015 M / 1436 H). Majallat al-istighrāb. al-istighrāb fī muwājahat al-taghrīb (1), al-Ṣafaḥāt 308-319.*

* *Rawadī bārt. (2011M). al-Dirāsāt al-'Arabīyah wa-al-Islāmīyah fī al-jāmi'āt al-Almānīyah-al-Mustashriqūn al-Almān mundhu Tiyūdūr Nöldeke. al-Qāhirah : al-Hay'ah al-Miṣrīyah al-'Āmmah lil-Kitāb*
* *Ṭayyib Tīzīnī, yanẓur alrābṭ :. (bi-lā Tārīkh). min al-istishrāq al-gharbī ilá al-istighrāb al-Maghribī baḥth fī al-qirā'ah al-Jābirīyah lil-Fikr al-'Arabī wa-fī āfāqihā al-tārīkhīyah. tamma alāstrdād min Maktabat Nūr : https : / / www. noor-book. com / book / review / 14503*
* *Mālik ibn Nabī. (2000M). Mushkilāt al-Ḥaḍārah : Mushkilat al-Thaqāfah. Dimashq : Dār al-Fikr..*
* *Muḥammad ibn 'Alī al-Tahānawī. (1996m). Mawsū'at Kashshāf iṣṭilāḥāt al-Funūn wa-al-'Ulūm. Bayrūt : Maktabat Lubnān Nāshirūn.*
* *Muḥammad 'Ābid al-Jābirī. (1986m). al-Turāth wa-mushkil al-manhaj (al-iṣdār 1). al-Dār al-Bayḍā' : Dār Tūbqāl lil-Nashr.*